الى ما كان فيه من حاله فهو ان يفرق كل عضو بمقاريض القدره في امضا الاحكام
قطعة قطعة وانت ساكن حامد وقال الجنيد كنت نايما عند سري
السقطي رضي الله عنهما فانبهني وقال لي يا جنيد رايت كاني قد وقفت
بين يديه فقال يا سري خلقت الخلق فكلهم ادعوا محبتي وخلقت
الدنيا فهرب مني تسعة اعشارهم وبقي معي العشر فسلطت عليهم
ذرة من البلا فهرب مني تسعة اعشار العشر فقلت للباقين
معي لا للدنيا اردتم ولا الجنة اخذتم ولا من النار هربتم فماذا تريدون قالوا
انك تعلم ما نريد فقلت لهم اني مسلط عليكم من البلا بعدد انفاسكم ما لا تقوم
له الجبال الرواسي اتصبرون قالوا اذا كنت انت المبتلي فافعل ما شيت
فهولا عبادي حقا من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره
فقصور النظر في روية اللطف في القدر من ضعف اليقين وسو الظن بالمقدر
الحكيم اذ لو كمل نظر العبد وقوي بصره لراى في ذلك من الفوايد والمصالح ما
لا يحصى وما غاب عنه اكثر فكان كما روي عن بعض الصالحين العارفين
انه قال لقد مرضت مرضة فاحببت ان لا تزول وكان لعمران بن الحصين
قد استسقى بطنه فلبث ملقى على ظهره سطيحا ثلاثين سنة لا يقوم ولا يقعد
قد نقب له على جريد وكان تحته ثقب لغايطه وبوله فدخل عليه مطرف
او اخوه العلا بن الشخير فجعل يبكي لما راه من حاله فقال لم تبكي قال لاني اراك على
هذه الحالة العظيمة قال لا تبكي فان احبه الي احبه الله سبحانه وتعالى ثم قال
احدثك بشي لعل الله تعالى ان ينفعك به واكتم علي حتى اموت ان الملايكة
تزورني فانس بها وتسلم علي فاسمع تسليمها وقال دخلنا على سويد بن
منعة نعوده فراينا ثوبا ملقى فما ظننا ان تحته شيا حتى كشف
فقالت له امراته اهلي فداك ما نطعمك وما نسقيك فقال طالت الضجعة
ودبرت الحراقيف واصبحت لا اسيغ طعاما ولا اسيغ شرابا منذ كذا وكذا
فذكر اياما ثم قال ما يسرني اني نقصت من هذا قلامة ظفر فهولا شاهدوا
في البلايا عطاياه وفي محنه منحه وفي عنفه لطفه فاوجب لهم ذلك من الرضا
بما هو فيه

بما هو فيه الرضا والتنعم به والتلذذ ما حملهم على ان لا يحبوا انه عنهم ولا انفصاله
ووجوه الالطاف والمنن في البلايا لا تحصى ولكنا نذكر منها هاهنا ما يزداد به
المريد قوة في حسن ظنه بربه عز وجل وتحمله ذلك على القيام بواجبها فنقول
البلايا التي يبتلي الله تعالى بها عباده سانحة لارادتهم ومنقصة لشهواتهم
وكلما ازعج النفوس وتقمصها والمها فهو يجود العاقبة من قبل ان ذلك يزداد له
الى الله تعالى وملازمة بابه بصرف الالتجا والافتقار وهذا من اعظم فوايد البلايا
ويجد ذلك من نفسه كل من نزلت به بلية او اصابته رزية وفيها ايضا محق
النفس وذهاب رعونتها وبطلان صفاتها اذ بوجود ذلك يقع العبد في الذنوب
والمعاصي وتتاكد منه الرغبة في الدنيا والحرص على اتباع الهوى وقلما لا
يخلو المومن من علة او عيلة او قلة او ذلة وفي الخبر عن الله تعالى الفقر
سجني والمرض قيدي احبس بهما من احببت من عبادي وفيها
ايضا يحصل له طاعة القلوب واعمالها وذرة منها خير من امثال الجبال
من اعمال الجوارح وذلك مثل الصبر والرضا والزهد والتوكل وحسن
الظن بالله تعالى قيل لعبد الواحد بن زيد رضي الله عنه هاهنا رجل
قد تعبد خمسين سنة فقصده فقال له حبيبي اخبرني عنك هل
قنعت به قال لا قال فهل انست به قال لا قال فهل رضيت عنه قال لا
قال فانما مزيدك منه الصلاة والصيام قال نعم قال لولا اني استحيي منك
لاخبرتك ان معاملتك خمسين سنة مدخولة قال ابو طالب المكي رضي الله
عنه اراد بذلك انه لم يرفعك باعمالك الى مقامات المقربين فيوجدك
مواجيد العارفين فيكون مزيدك منه اعمال القلوب التي يستحق بها كل
محبوب مطلوب لان القناعة به حال الموقن والانس مقام المحب
والرضا وصف المتوكل يعني انما انت عنده من طبقة اصحاب اليمين
فمزيدك منه مزيد العموم من اعمال الجوارح وهذه اشارة الى ما قلناه
من افضلية اعمال القلوب على اعمال الجوارح فمن وفقه الله تعالى الى
منازلة هذه المقامات وتوفية حقوقها في البلايا النازلة فقد حصل
على كنوز الى ذكر ابو ابراهيم اسحاق ابن ابراهيم التجيبي القرطبي المالكي
رحمه الله تعالى في كتاب النصايح له ان عروة بن الزبير ابتلي بقرحة
في ساقه فبلغت الى ان نشر عظم ساقه في الموضع الصحيح منها فقال له

Copyright © King Saud University